وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية التربية

مجلة كلية التربية

مجلة

علمية محكمة

العدد الثاني /٢٠٠٥

شباط

الفروق الدلاليّة بين الأفعال المزيدة في القرآن الكريم

رضا هادي حسّون
الجامعة المستنصرية – كلية التربية

المقدمة

نسعى في هذا البحث إلى إثبات أنّ لكلّ كلمة معنىً تدلُّ عليه لا يجوز أن تدلّ عليه أيُّ كلمة أخرى دلالةً تامّةً (تطابقيّة) . أي أنّ الكلمتين قد تشتركان في الدلالة على جزء من المعنى الكامل للكلمة ؛ لكنّ في إحداهما معنىً لا نجدُهُ في الأخرى .

والكلمةُ تدلُّ على معناها من ثلاثة أوجه :التطابق ، والتضمُّن ، والتلازم . فالفعلان : (أزلّ) و (استزلّ) يشتركان في الدلالة على معنىً واحد هو : (إحداث الزلل) بمعنى : (أنّ الفاعل يحمل المفعول على الزلل)،كقولنا:(أزلّ الشيطان فلاناً) و (استزلّ الشيطان فلاناً) ؛ فالفعلان كلاهما دلاّ على أنّ الشيطان حَمَلَ فلاناً على الزلل ، لكنّ ثمّةَ فرقاً بين الفعلين دلاليّاً . فدلالة (أزلّ) على ذلك المعنى دلالة تطابقيّة ، ودلالة (استزلّ) عليه دلالة تضمُّنيّة ؛ ففي الثاني دلالةٌ زائدةٌ على دلالة الأوّل ، وهي الدلالةُ على المبالغة (١) .

فنحن نبحث في إثبات وجود الفروق الدلاليّة ،وفي تحديدها ، وهي الفروق الناشئة من اختلاف الأفعال المزيدة لفظيّاً . ومقصودُنا – هنا – من الاختلاف اللفظيّ في الأفعال المزيدة هو اختلافها في الصيغ مع اتفاقها في الأصول (الجذور) أو (المواد) ، لأنّ وصف الأفعال بـ (المزيدة) يشير إلى الدلالة الصرفيّة (دلالة الصيغة) ، ولولا ذلك لما كان ثمّة داعٍ لتخصيص الأفعال بهذا القيد:(المزيدة) قطعاً . فدلّ التخصيصُ بهذا القيد على أنّ المُرادَ ما يتعلّق بهذه الزيادة الصرفيّة من دلالات .

ولا شكّ في أنّ بحثاً وجيزاً لا يكفي لدراسة كلّ الأفعال المزيدة الواردة في القرآن الكريم ؛ لذا لجأنا إلى اختيار طائفة من الأفعال التي بدا واضحاً أنّ كثيراً من اللغويّين وبعض المفسرين والصرفيّين غفلوا عن الفروق الدلاليّة التي بينها أو تغافلوا عنها ، إمّا اعتقاداً بالترادف أو قصداً إلى التقريب .

أولاً – (أفعل – فعّل):

تكلّم د. فاضل السامرائيّ في كتابه الرائد (بلاغة الكلمة في التعبير القرآنيّ) على بعض أفعال صيغتي (أفعل) و(فعّل) المشتقة من مادّة واحدة ، فتكلم على (وصّى وأوصى) (٢) وعلى (نزّل وأنزل) (٣) وعلى (نجّى وأنجى) (٤) ، و بيّن أنّ " من مقتضيات التكثير والمبالغة في الحدث استغراق وقت أطول وأنّه يفيد تلبُّثاً أو مكثاً . فـ (قطّع) يفيد استغراق وقت أطول من (قطع) و(فتّح) يفيد استغراق وقت أطول من (فتح) . وفي (علّم) من التلبُّث وطول الوقت في التعلُّم ما ليس في (أعلم) ...." (٥) وقال : " فهو يستعمل (وصّى) لما هو أهم لما فيه من المبالغة فهو يستعمل (وصّى) للأمور المعنويّة ولأمور الدين ، ويستعمل (أوصى) للأمور المادّيّة ...." (٦) وقال : " والذي يبدو أنّ استعمال (نزّل) قد يكون للتدرُّج والتكثير وقد يكون للاهتمام والمبالغة كما في أوصى و وصّى ، فالتنزيل قد يستعمل فيما هو أهمُّ وأبلغ من الإنزال ..." (٧) . وقال " فإنّ الملاحظ أنّ القرآن الكريم كثيراً ما يستعمل (نجّى) للتلبُّث والتمهّل في التنجية و يستعمل (أنجى) للإسراع فيها . فإنّ (أنجى) أسرع من (نجّى) في التخلُّص من الشدّة و الكرب .هذا وإنّ البناء اللغويّ لكلٍّ منهما يدلُّ على ذلك كما ذكرنا " (٨).

ولا أريد أن أخوض في دراسة هذه الأفعال بعد أن استوفى د. فاضل السامرائيّ البحث فيها ، لكنّني أرى في قوله :" وإنّ البناء اللغويّ لكلٍّ منهما يدلُّ على ذلك كما ذكرنا " إشكالاً ، إذ إنّ البناء اللغويّ لكل منهما مساوٍ للآخر ، فزمن النطق بـ (أنزل) يساوي زمنَ النطق بـ (نزّل) فالفعلان يتألّفان من التركيب الصوتيّ الآتي :(فَعْلَلَ)

فَـ	عْـ	لَ	لَ
أَ	نْـ	زَ	لَ
نَ	زْ	زَ	لَ

فَـ	عْ	لَ	لَ
أَ	فْ	عَ	لَ
فَ	عْـ	عَـ	لَ

وصفوة القول في هذه الأفعال أنّ كلّ فعلين مشتقين من مادّة واحدة يشتركان في الدلالة على معنى عامّ واحد ، ويختلفان في الدلالة على المعاني الخاصّة . فالفعلان (أنزل ونزّل)يدلان على معنى التعدية أي جعل الفاعل مفعولاً .ففي قولنا : نَزّلَ الماءُ من السماءِ . كان الماءُ (فاعلاً) ثمّ صار مفعولاً في قولنا : أنزلَ اللهُ الماءَ من السماءِ . ونزّلَ اللهُ الماءَ من السماءِ . والفرق بين الفعلين أنّ في (نزّل) زيادةً في المعنى ليست في (أنزل) ، فالمضعّف (نزّل) يدلُّ على التدريج ونحو ذلك ، وليس في (أنزل) دلالةٌ على ذلك. فالتنزيل أخصُّ من (الإنزال) من هذا الوجه . وكذلك يدلّ (نزّل) في بعض السياقات على المبالغة

والعناية . والحال تقتضي أن يأتي التعبير بصيغة بدلاً من أخرى ؛ ليكون الكلامُ مطابقاً لمُقتضى الحال . ولدينا من أفعال هاتين الصيغتين :

١- (أبلغ – بلّغ): يدلُ هذان الفعلان على معنىً عامّ واحد هو التعدية ، يقال : بَلَغَتِ الرسالةُ زيداً، وأبلغ خالدٌ زيداً الرسالةَ ، وبلّغ خالدٌ زيداً الرسالةَ. لكنَّ في (بلّغ) زيادةً ، وهي الدلالةُ على التفصيل والتكثير والإطناب . وقد ورد هذان الفعلان (أبلغ و بلّغ) في القرآن الكريم في عدّة آيات ، فكان لهما الأثرُ في بلاغة الكلام من حيثُ إنَّ التعبير بهما يطابق مُقتضى الحال . فقد وَرَدَ الفعلُ (بلّغ) في الآيات الآتية :

١- ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)) (المائدة / ٦٧).

٢-((أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)) (الأعراف / ٦٢).

٣- ((أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)) (الأعراف / ٦٨).

٤- ((قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ)) (الأحقاف / ٢٣).

٥- ((الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً)) (الأحزاب / ٣٩) .

ووَرَدَ الفعلُ (أبلغ) في الآيات الآتية:

١- ((فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ)) (الأعراف / ٧٩).

٢- ((فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ)) (الأعراف / ٩٣).

٣- ((فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ)) (هود/ ٥٧).

٤- ((لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً)) (الجن/ ٢٨).

٥- ((وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ)) (التوبة / ٦).

فقد ورد الفعلُ (بلّغ) في سياق دعوة الرُسُل المُستمرّة ، أو بعبارة أوضح : في سياق بداية الدعوة واستمرارها قبل مجيء الأجل المسمّى ووقوع العذاب على الكافرين ، وهذه الحال تقتضي التعبيرَ عن هذا العمل بالتفصيل والمبالغة و الإطناب ؛ لأنَّ الدعوة مازالت مستمرّةً قائمةً ، وهذا واضحٌ جدّاً في الآيات المذكورات ولاسيّما في آية المائدة وآيتي

الأعراف وآية الأحقاف ، ويؤكّدُ كلامَنَا هذا التعبيرُ بصيغة الفعل(المضارع)الدالّ على الاستمرار آنذاك أو بفعل الأمر الدالّ على ذلك أيضاً ، من حيث إنّ الأمرَ بالتبليغ دالٌ على استمراره .

أما الفعل (أبلغ) فقد ورد في سياق نهاية الدعوة وانقطاعها والحديث عن وقوعها بعد وقوع العذاب على الكافرين ، أو بعد تمامها وأدائها . ويؤكّدُ هذا الأمرَ أنّ هذا الفعلَ استُعْمِلَ هنا بصيغة الماضي للدلالة على انتهاء الدعوة وأدائها . فليس المقامُ - هنا - مقامَ تفصيل ، بل مقام إشارة وتذكير .

بقيَ أن نكشف عن سرّ التعبير بالفعل (بلّغ) بصيغة الماضي مرّةً واحدةً في قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)) ، وبالفعل (أبلغ) بصيغة الأمر في قوله تعالى :((فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ)).

والجواب أنّ التعبير بصيغة الماضي في الفعل (بلّغ) لا يعارض ما ذكرناه من الدلالة على الاستمرار في الدعوة ، لأنه في سياق الشرط ، والشرط دالّ على معنى الاستمرار والاستقبال ، فالآية تنصّ على أمر الرسول ﷺ بالتبليغ وهذا دالٌ على استمرار الدعوة آنذاك ثم هي تنصُّ على أنك: يا أيها الرسول إن لم تفعل (أي إن لم تبلّغ)- وهذا دالٌ على الاستمرار والاستقبال - فما بلّغت رسالته ، وهذا جواب الشرط ، فإذا كان الشرط لم يقع بعد وفيه دلالة على استمرار الدعوة فإن جوابه دالٌ على ذلك قطعاً ، لأنّ وقوعه يعتمد على وقوع فعل الشرط ، وأنّ انتفاءه يعتمد على انتفائه. فإذا انتفى تبليغ الرسول ما أنزل إليه من ربّه فقد انتفى تبليغه رسالة ربّه .

أما التعبير بصيغة الأمر في الفعل (أبلغ) فالسبب راجع إلى أنّ الإبلاغ هنا ليس إبلاغاً رسالياً (ليس إبلاغ دعوة أو رسالة) بل هو إبلاغ بالأمان ونحو ذلك ، وهو أمر يسير خارج عن مناظرة الآيات المذكورة آنفاً .

٢- (أمهل - مهّل): في قوله تعالى:((إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً. وَأَكِيدُ كَيْداً. فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً)). (الطارق / ١٦- ١٧) ، وقوله تعالى :((وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً)) . (المزمل / ١١).

فالمعنى العامُ للفعلين واحد هو (إعطاء المهلة) يقال : أمهلتُ زيداً ، أي أعطيته مهلةً، ومهّلته كذلك،لكنّ في (مهّل) زيادةً في المعنى لا نجدها في (أمهل) وهي معنى المبالغة أو التكثير .

ويؤكّد ما ذكرناه آيةُ الطارق ، فقد ورد فيها الفعلان معاً ، فبدأ بالتمهيل للكافرين ثم بالإمهال . ولا شكّ في أنّ المقامَ يستدعي ذلك ، لأنّ إعطاء الكافرين مهلةً يستلزم الاصطبار

أولاً وتحمّل الأذى منهم ثمَّ الصبر حين تأزف آزفتُهم وينتهي أجلُهم. و واقع المؤمنين في بداية الدعوة يشهد بذلك ،فقد اصطبروا على أذاهم طويلاً ، حتّى قوي المستضعفون وكثر المؤمنون وصاروا أمّة عظيمة وانخذل الكفارُ وضعفوا واستكانوا فانتهت المهلةُ وانقضى الأجلُ المسمّى .

أما في آية المزّمّل فقد كان إعطاءُ المهلة للمكذبين (وهم الكفار) بالفعل (مهّل) حَسْبَ ،للدلالة على ما ذكرناه في آية الطارق من وجوب الاصطبار على الأذى . ومن أجل أن لا يشعرَ المؤمنون بطول الأجل وطول المهلة جاءت كلمة (قليلاً)لتدلَّ على النهاية المحتومة ، فهي قليلة عند الله تعالى وعند المؤمنين الصابرين المصطبرين ، وان طالت عند غيرهم .

٣-(أنبأ - نبّأ) :في مثل قوله تعالى : ((وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ)) (التحريم / ٣) .اشتملت هذه الآية الكريمة على الفعلين (أنبأ ونبّأ) ومعناهما العام واحد فهما متّحدان في أصل المعنى ،لكنَّ ثمَّة فرقاً بينهما، ففي (نبَّأ) دلالةٌ زائدةٌ على التفصيل والإطناب والمبالغة والتكثير بخلاف (أنبأ) الدالِّ على السرعة والإيجاز والاقتضاب . ولهذين الفعلين في هذا الجانب نظائر ربما يكون ذكرها سبباً في تقريب المقصد ،منها:(أعلمت زيداً وعلّمته، وأخبرته وخبَّرته وأبلغته وبلّغته ،وأفهمته وفهَّمته).فواضح أنَّ أفعال صيغة (فعّل) المذكورة هنا دالّة على التفصيل والإطناب والإسهاب في العمل .

ومن هنا ندرك سرّ التعبير بهذين الفعلين في صيغة التحريم . فالفعل (نبَّأ) جاء في الجمل القرآنيّة الآتية :

١- (فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ) أي لّما نبّأت زوجُ النبيِّ ﷺ بالحديث الذي أسّره النبيّ ﷺ إليها ،وهذا يدلّ على أنّ فعلها هذا كان بالتفصيل والمبالغة في إيضاحه والكشف عنه .

٢- (فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ) أي لمّا نبَّأ النبيُّ ﷺ زوجَهُ هذه بإفشائها السرّ ، وهذا يدلُّ على أنّ فعل النبي ﷺ هذا كان بالتفصيل والمبالغة مقروناً بالعتاب واللوم والتأنيب والتوبيخ ونحو ذلك .

٣- (قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ)أي أنّ الله تعالى نبَّأ نبيّه ﷺ بأنّ زوجَهُ قد أفشت السرّ بالتفصيل والمبالغة والتأكيد.

أما الفعل (أنبأ) فلم يرد إلا في قوله تعالى : (قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا). وهذا الفعل يدلُّ هنا على أنّها لم تكن ترى هذا الإفشاء فعلاً يستحقُّ اللومَ والتأنيبَ فعبّرت عنه بفعل دالّ على الاقتضاب لا التفصيل أو قد تكون قَصَدتْ - هنا- التظاهرَ بأنّها لا تراه مشيناً يستحقُّ اللوم والعتاب والتأنيب ونحو ذلك . ولكنَّ سياق الآيات التي بعد هذه الآية يؤكّد شناعة هذا الفعل وفظاعته : ((إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ. عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ

أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً)) (التحريم / ٤-٥) .

ثانياً – (أفعل – استفعل) :

١- (أحبَّ – استحبَّ) :تدلُّ الأفعال(حبَّ) و(أحبَّ) و(استحبَّ) على معنى لغويّ واحد ،لكنَّ (أحبَّ) أبلغ من (حبَّ)، و(استحبَّ) أبلغ من (أحبَّ). وقد أشار إلى قريب من هذا المعنى بعض المفسرين بقوله : " أنَّ الإنسان قد يحبُّ الشيء ، ولكنَّه لا يحبُّ كونهُ محبّاً لذلك الشيء ، مثل من يميل طبعُهُ إلى الفسق والفجور، ولكنَّه يكره كونه مُحبّاً لهما ، أما إذا أحبَّ الشيء، وطلب كونه محبّاً له ، وأحبَّ تلك المحبّة ، فهذا هو نهاية المحبّة" (٩) .

٢- (أخرج – استخرج): يشترك هذان الفعلان في الدلالة على معنى واحد هو التعدية، أي تحويل الفاعل إلى مفعول ، فإذا قلنا :(خرج زيد) كان (زيد) فاعلاً .لكنَّه يتحول إلى مفعول في قولنا : (أخرج خالدٌ زيداً)، و(استخرج خالدٌ زيداً).فالفعلان كلاهما يدلان على معنى التعدية هذا ، لكنَّهما يفترقان في أن (استخرج) يدلُّ على معنى المبالغة زيادة على هذا المعنى .(١٠)

والملاحظ أنَّ الفعل (أخرج) ورد في القرآن الكريم أكثر من تسعين مرّة ،وأنَّ السياقات التي ورد فيها تتضمّن الدلالة على السرعة والسهولة واليسر في (الإخراج) بحيث إنَّ الفاعل لا يحتاج إلى جهد كبير أو اجتهاد في الإخراج . ومن تلك الآيات آيات كثيرة كان الفاعل فيها لفظ الجلالة (اللهُ)أو الضمير العائد عليه ، قال تعالى : ((الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)) (البقرة / ٢٢) . وقال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)) (البقرة / ٢٦٧). وقال تعالى: ((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)) (الأعراف / ٣٢) .وقال تعالى : ((هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ)) (الحشر / ٢). وقال تعالى : ((وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا)) .(النازعات / ٢٩) .وقال تعالى:((وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))(النحل /٧٨).

وجاء الفعل (أخرج) مسنداً إلى الشيطان أو الناس أو غيرهم في آيات أخرى ، من ذلك : قوله تعالى : ((يا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ)) (الأعراف / ٢٧) . فقد دلّ التعبير بهذا الفعل (أخرج)على أنّ الشيطان لم يجد معارضةً تُذْكَرُ من لدن آدم عليه السلام وزوجه فاستطاع أن يخرجهما من الجنة بيسر .

وكقوله تعالى : ((وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا)) (الزلزلة / ٢). فقد دلّ التعبير بهذا الفعل على سرعة إخراج الأرض أثقالها ، وفي هذا دلالة على جانب من أهوال يوم القيامة .

أما الفعل (استخرج) فقد ورد أربع مرات في سياقات دالة على معنى الاجتهاد والسعي والتحصيل والاعتمال في (الإخراج) ،قال تعالى: ((فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)) (يوسف / ٧٦). فقال: (ثمّ استخرجها) ولم يقل :(ثمّ أخرجها) ؛ لأنّ ذلك الرجل الذي بدأ بأوعيتهم حاول – بأمر يوسف عليه السلام – أن لا ينبّه إخوة يوسف عليه السلام على أنهم كانوا يقصدون أخذ أخيه بالكيد ؛ فكان يوسف عليه السلام قد أمر بجعل السقاية في رحل أخيه ، واحتياطاً للحيلة لم يجعلوها ظاهرة ،بل عملوا على إخفائها بحيث لا تظهر إلا بعد بحث يطول حتى لا يشكّ شاكٌّ في أنّ الأمرَ حيلةٌ و كيدٌ .

وقال تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِياً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) (النحل / ١٤) . وقال تعالى: ((وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِياً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) (فاطر / ١٢). فدلّ الفعل (استخرج) في الآيتين على الاجتهاد في الإخراج، وهو المناسب للمقام ، فالحلية لا تُخْرَج من البحر إلا بالغوص،والغوص عمل شاقّ مجهد يحتاج إلى طلب وسعي وقصد وتدبير واجتهاد واعتمال وقد يؤدي إلى الهلاك بالغرق.

وقال تعالى : ((وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً)) (الكهف/ ٨٢). فإخراج الكنز الذي تحت الجدار يحتاج إلى علم بوجوده وموقعه والسعي إلى إخراجه بهدمه وحفر ما تحته ، والله أعلم.

٣- (أشهد – استشهد) :يشترك هذان الفعلان في الدلالة على معنى الإشهاد ، والأصل: (شَهِدَ زيدٌ) ،فـ (زيد) فاعل ، لكنّه يصير مفعولاً في قولنا :(أشهدتُ زيداً)، و(استشهدتُ زيداً). أي جعلتُهُ شاهداً أو شهيداً . والفرق بين الفعلين أنّ في الثاني (استشهد) دلالةً زائدةً على ما

في الأول (أشهد) هي معنى المبالغة (١١). والمبالغة قد تكون بالتأكيد ،أو التحقق من عدالة الشهود، وصدقهم ،وأمانتهم ، ونحو ذلك .

وقد ورد الفعل (أشهد) سبع مرات من ذلك قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلاَ تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) (البقرة / ٢٨٢).
وقوله تعالى : ((وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِياً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً)) (النساء / ٦) وقوله تعالى: ((فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً)) (الطلاق/ ٢) .

وورد الفعل (استشهد) مرتين في قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلاَ تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) (البقرة /٢٨٢). وقوله تعالى : ((وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً)) (النساء / ١٥) .فالاستشهاد في التبايع وفي دفع أموال اليتامى إذا بلغوا النكاح والرشد وفي التطليق . والاستشهاد في التداين ولاسيما إذا كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يُمِلّ،وكذلك الاستشهاد في

إثبات جريمة الزنا .وواضح أنّ دواعي الاستشهاد أهمّ من دواعي الإشهاد وأعظم شأناً ،فالتبايع أهون من التداين ، والتطليق أهون بكثير من إثبات جريمة الزنا.

٤- (أوقد – استوقد) : يشترك هذان الفعلان في الدلالة على معنى الإيقاد الدالّ على معنى التعدية ،فالأصل :(وَقَدَتِ النارُ)، وبالزيادة :(أوقدتُ النارَ)،و (استوقدتُ النارَ). والفرق بينها أنّ في(استوقد) دلالةً على المبالغة ، والمبالغة قد تكون بالكثرة أو بطول الزمن أو بالتأكيد والعناية أو بالاجتهاد والسعي في الإيقاد ونحو ذلك (١٢).

وقد ورد الفعل (أوقد) في سياقات قرآنية للدلالة على سرعة الحدث وسهولته كقوله تعالى : ((الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ)) (يس /٨٠) فهذه الآية الكريمة تتحدث بنعمة من نعم الله التي لا تحصى ، والحال تقتضي أن يكون الإيقاد ميسوراً سهلاً؛مناسباً لمفهوم النعمة ، والله أعلم .

و ورد الفعل (استوقد) مرة واحدة في سياق دالّ على الاجتهاد والسعي في طلب الوقود والمشقة في تحصيله وإيقاده قال تعالى : ((مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ)) (البقرة /١٧) . فمثل المنافقين كمثل الذي كان في ظلمة شديدة ، فبحث عن الوقود واجتهد في جمعه وتحصيله و بذل في سبيل ذلك ما بذل ثم حاول إيقاد النار وعانى في سبيل ذلك حتى إذا أوقدها بعد كل هذا العناء ذهب الله بنوره وتركه في الظلمات لا يبصر شيئاً . ولا شكّ في أنّ التعبير بالفعل (استوقد) يدلُّ دلالةً واضحةً على عظمة خسران المنافق وخيبته كخسارة ذاك الرجل الذي اجتهد كلَّ الاجتهاد وسعى في سبيل تحصيل الوقود وجمعه وإيقاد النار ثمّ ذهبت كلُّ جهوده أدراج الرياح .

ثالثاً – (تفعّل – انفعل).:

١- (تشقّق– انشقّ) : يشترك هذان الفعلان في الدلالة على معنى (المطاوعة) ،لكنّ الفرق بينهما أنّ (انشقّ) مطاوع للمجرّد الثلاثيّ (شقّ) (١٣)،أمّا (تشقّق) فهو مطاوع للمزيد المضعّف (شقّق) (١٤) الدالّ على التكثير ، ومن هنا كان التشقّق متضمّناً معنى الكثرة بخلاف (الانشقاق) فالتشقّق يكون في أكثر من موضع ، والانشقاق يكون عامّاً والغالب كونه في موضع واحد.

وقد ورد الفعل (تشقّق) في قوله تعالى : ((وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلاَئِكَةُ تَنزِيلاً)) (الفرقان /٢٥) وقوله تعالى : ((يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ)) (ق /٤٤). وفي قوله تعالى : ((ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)) (البقرة/ ٧٤) . وفي كل

هذه الآيات دلّ الفعل(تشقّق)على مطاوعة (شقّق) مع الدلالة على حدوث (التشقّق) في أكثر من موضع ،ففي آية الفرقان يناسب التشقّق الدلالة على كثرة الغمام يومئذ ،وفي آية (ق) يناسب التشقّق في الأرض كثرة الخلائق يوم الحشر ، وفي آية (البقرة) يناسب التشقّق كثرة الماء الخارج من الحجارة .

أمّا الفعل (انشقّ) فقد ورد خمس مرات دالاً على معنى الانشقاق في موضع واحد لكنّه لانشقاق انقسامي ، أي ينقسم فيه الشيءُ المنشقُ على قسمين انقساماً تامّاً ، قال تعالى : ((اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ))(القمر/ ١). وقال تعالى : ((فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ)) (الرحمن / ٣٧).وقال تعالى : ((وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ)) (الحاقة / ١٦) وقال تعالى : ((إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ. وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ)) (الانشقاق / ١-٢). وقال تعالى : ((تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً)) (مريم / ٩٠).

٢- (تفجّر- انفجر): يشترك هذان الفعلان في الدلالة على معنى المطاوعة ، لكنّ الفرق بينها أن (انفجر) مطاوع للمجرد (فَجَرَ) (١٥) ، و(تفجّر) مطاوع للمزيد المضعّف (فجّر)(١٦) الدال على التكثير والكثرة والمبالغة .

وقد ورد الفعلان (فَجَرَ وتفجّر) في قوله تعالى : ((وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً)) (الإسراء /٩٠- ٩١). فدلّ المجرد (تَفْجُرَ) على التقليل لمناسبته (ينبوعاً) ، ودلّ المزيد (تفجّر) على التكثير لمناسبته الأنهار .

وقد ورد الفعل (تفجّر) في قوله تعالى : ((ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)) (البقرة / ٧٤). فدلّ على التكثير لمناسبته (الأنهار) ، و ورد الفعل (انفجر) في قوله تعالى : ((وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ)) (البقرة / ٦٠). فدلّ على التقليل لمناسبة (العيون) ،فالنهر أكبر من العين وأوسع وأكثر ماءً قطعاً .

٣- (تفطّر- انفطر): يشترك هذان الفعلان في الدلالة على معنى المطاوعة لكنّ الفرق أن (انفطر) مطاوع للمجرد (فَطَرَ) (١٧) الدالّ على التقليل ، والثاني (تفطّر) مطاوع للمزيد المضعّف (فطّر) (١٨) الدال على التكثير ،فانتقل معنى التقليل إلى (انفطر) ،ومعنى التكثير إلى (تفطّر).

ومن الأدلة المؤكدة لما نقول أنَّ الفعل (تفطّر) أسند إلى (السموات) والفعل (انفطر) أسند إلى السماء ،قال تعالى :((تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً))(مريم /٩٠) وقال تعالى : ((تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ)) (الشورى /٥).وقال تعالى : ((إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ)) (الانفطار / ١).

رابعاً – (تفعّل – افتعل) :

١- (تجنّب – اجتنب): يشترك هذان الفعلان في الدلالة على معنى المطاوعة، لكنَّ الفرق أن (تجنّب)مطاوع للفعل (جنّب) الدالّ على الكثرة ، فالأصل الثلاثيّ المجرد (جَنَبَ) لا يدلُّ على الكثرة بل يدلّ على الحدث حَسْبُ ، فيكون (جنّب) دالاً على التكثير أو (المبالغة) ويكون (تجنّب) دالاً على المطاوعة مع الدلالة على المبالغة ،أي مطاوعاً للفعل الدالّ على التكثير أو المبالغة . أما (اجتنب) فهو مطاوع للثلاثيّ المجرّد (جَنَبَ) فلا دلالة فيه على المبالغة .

وقد ورد الثلاثي المجرّد (جَنَبَ)في قوله تعالى : ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ)) (ابراهيم /٣٥).

وورد المزيد المضعف في قوله تعالى : ((وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى . الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى)) (الليل / ١٧-١٨).

وورد الفعل (تَجَنَّبَ) في قوله تعالى : ((فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى. سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى. وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى. الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الكُبْرَى)) (الأعلى / ٩-١٢) .فدلّ هذا الفعل – هنا- على مطاوعة النفس أو مطاوعة الهوى والشيطان ، فقد جنّب الأشقى نفسه الذكرى ، فتجنّبها هو أي أنّه بالغ بتجنيبها وطاوع ذلك . أو جنّب الشيطانُ الأشقى الذكرى ، فتجنّبها هو . أي أن الشيطان بالغ بتجنيبه ، فطاوع الشيطان .

وورد الفعل(اجتنب) تسع مرات في وصف المؤمنين أو خطابهم أو في دعوة الناس إلى الطاعة ، وفي كلّ هذه المواضع نجد الفعل (اجتنب) مطابقاً لما يقتضيه الحال ؛ فالمطيع يكفيه القليل من التأثير بالوعظ أو الإرشاد أو النصيحة ليجتنب الطاغوت والكبائر والرجس من الأوثان وقول الزور وكثيراً من الظن و الخمر . قال تعالى :((وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)) . (الشورى / ٣٧) ، وقال تعالى : ((ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ)) (الحج / ٣٠) ، وقال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)). (المائدة/ ٩٠).

٢- (تخيّر – اختار): يدل هذان الفعلان على معنيين متلازمين غالباً ، فـ (اختار) يدل على معنى الأخذ – أي أخذ خير الشيء (١٩) ، وتخيّر يدل على معنى الطلب أي طلب ما هو خير (٢٠)، ومعلوم أن الأخذ –غالباً – يكون مسبوقاً بطلب المأخوذ ، والطلب غالباً يكون ملحوقاً بأخذ المطلوب . ومن هنا نشأ الخلط بينهما وعدم التفريق و الاعتقاد عند بعض بترادفهما.

وقد ورد الفعل (اختار) في القرآن الكريم أربع مرات ، قال تعالى : ((وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ))(الأعراف / ١٥٥). وقال تعالى : ((وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى)) (طه / ١٣) . وقال تعالى : ((وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)) (الدخان / ٣٢).وقال تعالى : ((وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)) (القصص / ٦٨) .

و واضح في هذه الآيات جميعها معنى الأخذ ، لكن قد يشكل في بعضها المعنى اللغويّ (الخير) فالذين اختارهم موسى ﷺ ليسوا خيراً بني إسرائيل أو من خيرهم ، بدلالة تتمّة الآية نفسها : ((فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ)) (الأعراف / ١٥٥). والجواب عن هذا الإشكال : إن موسى ﷺ اعتقد أنّ هؤلاء السبعين من خير بني إسرائيل ، فأخذ معه لميقات ربّه من اعتقد أنهم خيرٌ بني إسرائيل أو من خيرهم .

أما الفعل (تخيّر) فقد ورد مرتين مرة في الحديث عن أصحاب الجنة : ((وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ)) (الواقعة/ ٢٠).ومرة في ردّ دعوى الكفار:((أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ. مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ . أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ. إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ))(القلم/ ٣٥-٣٨). و واضح في الآيتين أن معنى (التخيّر) هو طلب ما يراد الطالب خيراً .

٣- (تذكّر – اذكر) : يدل الفعل (تذكّر) على معنى المطاوعة ، فهو مطاوع للفعل (ذكّر)، يقال : ذكّرته فتذكّر (٢١) . و(ذكّر) يدل على معنى (التعدية) وهو ضد المطاوعة، فكأنّ معنى (تذكّر) يماثل معنى (ذكّر)،لكن لا بد من فرق بينهما و واضح أن الفرق بينهما هو معنى المطاوعة .فالذاكر ليس كالمتذكّر تماماً ، وان اشتراكا في حصول (التذكر) فالذاكر من يذكر مطلقا ، أما المتذكّر فلا بد من أن يكون متأثّراً بتذكير مذكّر . أما الفعل (اذكر)- أصله اذتكر أُبدلت تاؤه دالاً لقرب مخرجيهما وأدغمت فيها الذال – فيدلّ على معنى المبالغة

في أصله (ذَكَرَ) ، والمبالغة فيه قد تكون بالوضوح أو القوة أو الاجتهاد أو الكثرة أو نحو ذلك . ومن هنا ندرك الفرق بين (اذكر) و(تذكّر).

ومن أمثلة الفعل (تذكّر) في القرآن الكريم قوله تعالى : ((فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)) (طه /٤٤).وقوله تعالى : ((كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ)) (ص / ٢٩) . وقوله تعالى : ((أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)) (البقرة/ ٢٢١). وقوله تعالى : ((وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)) (إبراهيم / ٢٥). ونحوها من الآيات الدالة على أنّ التذكّر يكون بعد تذكير بالآيات أو القول اللين أو ضرب الأمثال ونحو ذلك.

أما الفعل (اذكر) فقد ورد بصيغته الفعلية مرة واحدة في قوله تعالى : ((وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ)) (يوسف/ ٤٥) . فقد أنساه الشيطان ذكر ربه فلبث يوسف عليه السلام في السجن بضع سنين ، ثم حصل له الادّكار وهو الذكر الشديد الواضح السريع بعد كل هذا النسيان الطويل الشديد .

وورد بصيغة(اسم الفاعل) دالاً على المعنى نفسه كقوله تعالى : ((وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)) (القمر/ ١٥) .فهي آية عظيمة توجب المبالغة في الذكر والاعتبار والاتعاظ ، وكذلك في قوله تعالى : ((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)) (القمر / ١٧).والقرآن أعظم آيات الله تعالى فلا بدّ من المبالغة في الذكر ، والله أعلم .

٤- (ترقّب – ارتقب): يدلّ الفعل (ترقّب) على معنى التكلّف في الرقابة ، أي بذل الجهد والمعاناة في سبيل حصول أصل الفعل (رقب) ،أما الفعل (ارتقب) فيدل على المبالغة في أصله (رقب) ،وثمّة فرق واضحٌ بين التكلّف والمبالغة ،وإن كان بعض الدارسين لا يميز بينهما . فالتكلّف لا بدّ فيه من المعاناة وبذل الجهد والصعوبة والمشقة مع الدلالة على التدرّج والبطء .أما المبالغة فتدلّ على سمات ايجابية في الحدث ،كالطول والكثرة والجودة والقوّة والدقة ونحو ذلك . فالخائف يترقّب والآمن يرتقب .

وقد ورد الفعل (ترقّب) مرتين في قوله تعالى : ((فَأَصْبَحَ فِي المَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ)) (القصص/ ١٨). وفي قوله تعالى : ((فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ)) (القصص / ٢١). والمترقّب في الآيتين هو موسى عليه السلام وقد كان في ترقّبَيْه خائفاً ، وهذا يدلّ على تكلّفه ومعاناته ،فقد خاف من بطش آل فرعون حين قتل رجلاً منهم . وخاف حين علم أنهم يأتمرون به ليقتلوه .

أما الفعل (ارتقب) فقد ورد في قوله تعالى : ((فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ)) (الدخان / ١٠) . وقوله تعالى : ((فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ)) (الدخان/ ٥٩).وقوله

تعالى : ((وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ))(هود / ٩٣) . وقوله: ((إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ)) (القمر/ ٢٧) . وقد دلّ فيها جميعاً على معنى المبالغة بالطمأنينة وطول الانتظار والرقابة ونحو ذلك .

خامساً – (تفعّل – استفعل):

١– (تأخّر – استأخر) : يشترك هذان الفعلان في الدلالة على معنى (التأخُّر) لكنّ الفرق أنّ (تأخّر) يدلّ على وقوع (التأخُّر) وهو مطاوع (التأخير) ، فلا تأخُّر إلا بتأثير مؤخِّر ، يقال : أخّرته فتأخّر (٢٢) ، وقد يكون المؤخِّر والمتأخِّر واحداً إذا كان المتأخِّر قاصداً تأخير نفسه ، ويُسمّى هذا بمطاوعة النفس . يقال : أخّر نفسهُ فتأخّر .

أما الفعل (استأخر) فيدلّ على إرادة التأخُّر أو طلبه أو الرغبة فيه (٢٣) . فلابدّ في دلالته من قصد إلى أصله ،فالمستأخر هو الذي يقصد تأخير نفسه قطعاً ويطلبه ويرغب فيه . فيكون الفرق بين (تأخّر) المطاوع لغير فاعله و(استأخر) هو الدلالة على القصد والطلب والإرادة في الثاني من دون الدلالة على الوقوع فيه ، بخلاف الأول الدالّ على الوقوع من دون الدلالة على القصد والطلب ونحوهما . أمّا الفرق بين (تأخّر) المطاوع لفاعله و (استأخر) فهو الدلالة على وقوع التأخُّر في الأول دون الثاني ، على الرغم من اشتراكهما في الدلالة على القصد والطلب والإرادة .

ويؤكّد ما ذهبنا إليه أنّ الفعل (تأخّر) و مثله الفعل (تقدّم) من أجل أن يدلاّ على مطاوعة النفس لا بدّ من أن يشتمل السياق على كلمة أو أكثر تتضمّن الدلالة على الإرادة والقصد ففي قوله تعالى: ((وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)) (البقرة / ٢٠٣) اشتمل السياق على عبارة (فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ) ، ولا ريب في أنّ الإثم إنّما ينشأ من العمد والقصد ، فإنّ المُضْطَرّ والمُلْجأ والمُكْرَه لا إثمَ عليهم ، قال تعالى :((إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) (البقرة /١٧٣) .

وكذلك في قوله تعالى : ((لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ)) (المدثر / ٣٧) اشتمل السياق على الفعل (شاء) الدالّ على قريب من معنى الإرادة أو القصد أو الرغبة أو نحو ذلك.

وإذا خلا السياق من ذلك ، فيدلاّن على معنى المطاوعة لغير الفاعل كقوله تعالى : ((لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)) (الفتح/ ٢).فالذنب لا يقدّم نفسه و لا يؤخّرها قطعاً .

وقد ورد الفعلان (استأخر و استقدم) في مثل قـــوله تعالى : ((وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّـهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَـإِذَا جَـاءَ أَجَلُهُـمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ)) (النحل / ٦١) .فقال (لا يستأخرون) و(لا يستقدمون) ، ولم يقل :(لا يتأخرون) و(لا يتقدمون) ، لأنّ نفي إرادة الناس التقدُّم، والتأخُّر أبلغ من نفي التقدُّم والتأخُّر أنفسهما . فالمراد إذن تأكيد الدقة في هذا الأجل وتأكيد عجز الناس عن التقـدُّم أو التأخُّر ، حتى في حصول الإرادة لذلك، لأن الإرادة مقدّمة الفعل،فإذا انتفت كان ذلك أبلـغ في انتفاء الفعل نفسه ، والله أعلم .

٢-(تكبّر – استكبر) :تكلّمتُ في بحثي الموسوم بـــ (معاني صيغة استفعل عند المفســرين) على الفرق الدلاليّ بين هذين الفعلين(٢٤)، ولا بأس بذكره هنا موجزاً :

يدلّ الفعل (تكبّر) على ادّعاء الكبر أو النسبة ،أي نسبة الفاعل نفسه إلى (الكبر) ،وذلك نحو : تفضّل إذا ادّعى الفضل (٢٥) ، أي نسب نفسه إلى الفضل ، أو نسب الفضـل إلى نفسه فيكون (تكبّر) بمعنى نسب نفسه إلى الكبر ، أو نسب الكبر إلى نفسه .

أما (استكبر) فهو دالّ على طلب (الكِبْر) ، وهو طلب قلبيّ يكون الفعـل فيـه لازماً بخلاف الطلب في مثل الفعل (استغفر) فهو طلب بالقلب والقول معاً ، يقال: اسـتغفر المؤمنُ ربّه ، أي طلب المؤمنُ المغفرةَ من ربّه . فيكون الفرق بين الطلبين القلبيّ (الإرادة) والطلب القوليّ (السؤال ، الأمر ، الدعاء ، الالتماس) أنّ الفعل في الطلب القلبـيّ يكـون لازماً في الجملة ، ويكون مفعولُ الطلب في التفسير الصرفيّ هو مادّةَ الفعل ، نحو : استكبر إبليسُ ، فالفعل هنا لازم ، وتفسيره : طَلَبَ إبليسُ الكِبْرَ ، فـ (الكبر) مفعول الطلـب . وأنّ الفعل في الطلب القوليّ يكون متعدّياً في الجملة ، ويكون مفعولُ الجملة هو المطلوبَ منـه ، ويكون مفعولُ الطلب في التفسير الصرفيّ هو مادّةَ الفعل ، نحو استغفر المؤمنُ ربّه ، فالفعل هنا متعدّ ، وتفسيره : طَلَبَ المؤمنُ المغفرةَ من ربّه) فالمغفرةُ مفعولُ الطلـب ، ومفعـولُ الجملة (ربّه) هو المطلوبُ منه(٢٦) .ولا أدلّ على التفريق بين الفعلين من وصف إبليس في القرآن الكريم مرةً بالتكبُّر ومرةً بالاستكبار ، فهو لم يوصفْ بـالتكبُّر والاسـتكبار فـي موضع واحد ، بل إنّ استكبار إبليس قد سبق تكبُّرَهُ ، بمعنى أنّه طلب بقلبه الكبرَ ثم ادّعاه ،لا عن اعتقاد بأنّه أكبرُ في الحقيقة ، وإنما تسويغاً من عند نفسه لرفضه وإبائه . قال تعـالى : ((إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَـهُ سَاجِدِينَ . فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ. قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ)) (ص/ ٧١-٧٥) .فواضـح من هذه الآيات أنّ إبليس لما أُمِرَ بالسجود أحسّ بأنّه أصغرُ من آدم(عليه السلام) فطلب بقلبـه الكبـرَ لنفسه . ولا شكّ في أنّ سجوده لآدم يناقض هذا الطلب القلبيّ ، فأبى ، فلمّا سُئل عن سـبب

إبائه : أهو الاستكبار- بمعنى طلب الكبر الدالّ على انتفائه في الواقع ؛ لأن الطالب للشيء لا يملكه ،والمالك له لا يطلبه - أم هو العلوّ الحقيقيّ الذي ليس من صفات إبليس ؛ بدلالة أمره بالسجود ؟ وقد اختار إبليس طريق الكذب فادّعى العلوّ(الكبر)؛لأنّه مخلوق من النار وآدم عليه السلام من الطين . والنار - بزعمه - أفضل من الطين. وهو زعم كاذب لا عقيدة وراءه وإنّما محض ادّعاء باطل ومغالطة فاسدة ، فتكبُّره كان بعد استكباره ، قال تعالى : ((وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ. قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ. قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ)) (الأعراف / ١١- ١٣).

٣- (تيسَّر - استيسر): يدل الفعل (تيسَّر) على معنى المطاوعة فهو مطاوع للفعل المزيد (يسّر) يقال : يسّرت الأمرَ فتيسَّر الأمرُ . و (يسّر) يدلُّ على معنى التعدية ، فالأصل المجرّد : (يَسَرَ الأمرُ)،وبالتضعيف :(يسّرتُ الأمرَ) ،فيكون الفرقُ بين (يَسَرَ) المجرَّد و(تيسَّر) المزيد معنى المطاوعة ، فلا بد للمتيسِّر من تأثير الميسِّر . أما (استيسر) فهو دالّ على المبالغة في أصله (اليُسْر) .

وقد ورد الفعل (تيسَّر) مرتين في قوله تعالى : ((إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) (المزّمّل / ٢٠) . فـ (تيسر) في هذه الآية مطاوع للفعل (يسّر) الذي ورد في آيات كثيرة منها :((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)) (القمر /١٧).

أما الفعل (استيسر) فقد ورد مرتين في قوله تعالى : ((وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))(البقرة/١٩٦).

وقد دلّ هنا على المبالغة في (اليسر) وذلك تخفيفاً من الله ﷻ ، والله تعالى يقول : ((يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) (البقرة / ١٨٥).

الهوامش والمصادر

١- ينظر : معاني صيغة استفعل عند المفسِّرين ، رضا هادي حسون ، (البحث الثاني للماجستير)،جامعة بغداد – كلية العلوم الإسلامية ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣ م : (ص١٤٧).

٢- ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآنيّ ، د . فاضل صالح السامرائيّ ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ط ١ ، ٢٠٠٠م : (ص٥٢) .

٣- ينظر: المصدر نفسه: (ص٥٣).

٤- ينظر: المصدر نفسه: (ص٥٧).

٥- ينظر: المصدر نفسه:(ص٥١).

٦- ينظر: المصدر نفسه: (ص٥٢) .

٧- ينظر: المصدر نفسه: (ص٥٣) .

٨- ينظر: المصدر نفسه: (ص٥٧).

٩- التفسير الكبير ،الفخر الرازي ، بيروت ، دار الفكر ،ط ٣ ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م : (١٩/ ٧٨) .

١٠- ينظر : حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاويّ ، شيخ زاده القوجوي ، استانبول، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠ م : (١ /١٥٦) . و تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر ابن عاشور ، تونس، الدار التونسية ، ١٩٨٤ م : (٢٩ /٣٣٠).

١١- ينظر : حاشية العلامة الصاويّ على تفسير الجلالين ، الصاويّ ،تحقيق عليّ محمّد الضباع ، بيروت ، دار الجيل ، الطبعة الأخيرة ، د. ت : (١ /١٢٤). و تفسير التحرير والتنوير: (٣ /١٠٥).

١٢- ينظر : حاشية شيخ زاده: (١ /١٥٦).

١٣- ينظر : لسان العرب ، ابن منظور ، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣ م، مادة: (شقق) .

١٤- ينظر: المصدر نفسه ، مادة : (شقق) .

١٥- ينظر: المصدر نفسه ، مادة :(فجر).

١٦- ينظر: المصدر نفسه ، مادة : (فجر).

١٧- ينظر: المصدر نفسه ، مادة : (فطر).

١٨- ينظر: المصدر نفسه ، مادة : (فطر).

١٩-ينظر: الكليات ، أبو البقاء الكفويّ ، تحقيق د. عدنان درويش ، ومحمد المصريّ،دمشق، ط ٢، ١٩٨١ م: (١ /٢٠٣).

٢٠- ينظر : لسان العرب ، مادة : (خير) .

٢١- ينظر : ديوان الأدب ،الفارابيّ ،تحقيق د. أحمد مختار عمر ، القاهرة ،المطابع الأميرية ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م : (٢ /٤٤٥).

٢٢- ينظر: لسان العرب ،مادة : (أخر) .

٢٣- ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاويّ ، بيروت ،دار الكتب العلمية ، ط ١ ،١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م : (١/ ٣٣٧).و روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الآلوسيّ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م : (١١ /١٣١).

٢٤- ينظر : معاني صيغة استفعل عند المفسّرين : (ص ١٣٨- ١٣٩).

٢٥- ينظر : معجم مقاييس اللغة ،ابن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ،بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م، مادة : (فضل). والصحاح،الجوهريّ ،تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار ،بيروت ، دار العلم للملايين ،ط ٤ ، ١٩٨٧م،مادة : (فضل).و أساس البلاغة،الزمخشريّ تحقيق عبد الرحيم محمود ، القاهرة ،ط ١، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م ، مادة: (فضل).

٢٦- ينظر : معاني صيغة استفعل عند المفسرين : (ص١٥٣).

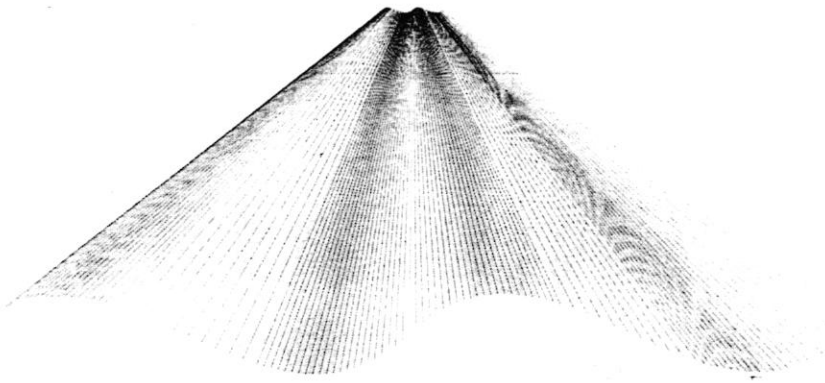

اللغة العربية

قصيدة النثر التسعينية في العراق (قراءة نقدية)

د٠ سمير الخليل
كلية الآداب .الجامعة المستنصرية

تطمح هذه الدراسة الى الاقتراب من قصيدة النثر التسعينية كما عبر عنها الشعراء الذين وردت قصائدهم في الديوان الجماعي الموسوم بـ (الشعر العراقي الآن) الصادر عام ١٩٩٨ بوصفه أول كتاب يؤرخ لنماذج شعرية تعبر عن أصوات تحاول تلمس طريقها في سماء الشعر ٠

في البدء لابد من الإشارة الى إننا لسنا بصدد تعريف قصيدة النثر بوصفها جنساً أدبياً، ومدى شرعيتها ، وهل ان وجودها كان مبرراً بعد انحسار الأصوات الشعرية المؤثرة في الساحة الأدبية ، كما أننا في غنى عن تتبع ما قيل ضمن هذا الجو الأدبي المتأزم وصراع الأجيال وما تمخض عن كل هذه الصراعات من انحسار النصوص الإبداعية التي ما فتئت تصاب بالتلاشي بسبب سطوة المؤسساتية وما مثلته من رغبة في ان تبقى ممثلة نهوية الإبداع العراقي ٠

والحديث هنا يشير الى جيل (ما بعد الرواد) واعني (جيل التسعينات) ، اذ ان الوصاية على الشعر لا مكان لها في دائرة الإبداع ، بعد ان جعل الشاعر الستيني من نفسه عراباً للعملية الإبداعية بلجوئه الى هدم النموذج السابق له (جيل الرواد) ومحاولة تأسيس كتابة شعرية منبثة عن أصول الريادة ، وخير شاعر مثل هذه الوصاية هو الشاعر الستيني سامي مهدي في كتبه الثلاثة (افق الحداثة وحداثة النمط) و (وعي التجديد والريادة الشعرية في العراق) و(الموجة الصاخبة) واذا كان الكتاب الأول قد تناول (مجلة شعر) وممثليها ادونيس ويوسف الخال بهجوم قاسٍ الى الحد الذي جعله يتيم الشاعرين بالخيانة القومية ، فأن الكتاب الثاني حاول فيه المؤلف سرقة الأضواء وتغيير زاوية النظر التي ظلت مدة ليست بالقصيرة محاطة بنصوص الرواد عامة والسياب بخاصة ، ومحاولة المؤلف تجريد السياب واخراجه من دائرة الإبداع التي لا تليق به ــ أي السياب ــ بحجة الفهم المشوش للتجديد الذي استغله السياب حين كان محاكياً في قصائده للأساطير ومقتبساً قوالب جاهزة من الشعر الأوربي أما فيما يخص الكتاب الثالث (الموجة الصاخبة ، شعر الستينات في العراق) فقد توجه الهجوم فيه نحو مبدع ستيني بين جيل المؤلف هو الشاعر فاضل العزاوي ، في محاولة لاخراجه من إطار ولاية الإبداع الستيني بطريقة ممنهجة ، اذ اصبح البيان الشعري الستيني

بياناً منفرداً بخصوصية تجعل من سامي مهدي هو المبدع الأول في الشعر العراقي في تلك المرحلة بل صاحب نبوءة فيه .

ان مثل هذه المحاولات الكتابية التي كان همّها الأول والرئيس هو الدفاع عن الجيل النموذج ثم تطور بعد حين للبحث عن الشاعر النموذج ضمن الجيل الواحد ، إنما هي محاولة كتابية (مدبلجة) بعيدة عن الأساس الذي يجب ان تنطلق منه المفاهيم الإبداعية ، مثل مفهوم صراع الأجيال . ولعل هذه المقدمة متأتية من النظرة الفاحصة التي تلت حركة الشعر العراقي بعد جيل الستينيات أو هي متابعة للأصوات التي لم تنضو تحت خارطة الإبداع الستيني ، وما مثله الجيل الستيني من دور حاسم في إلغاء ما قبل (جيل الرواد) وسحق ما بعد (الأجيال اللاحقة) الأمر الذي جعل من الشعر العراقي في المرحلة التالية للمرحلة الستينية شعراً متخبطاً ، لا يلتقي مع شروط نتاجه الشعري وهو شرط التبني من شعراء الجيل السابق للجيل اللاحق .

ان الانفصال الذي ظهرت بوادره ، أول ما ظهرت في الشعر السبعيني اذ اصبح ظاهره لها ملامح مميزة ، بحيث اصبح كل جيل محكوماً أو ملتصقاً بعقده فيقال الثمانيني والتسعيني حتى وان كان ذا ملامح ضبابية ، الأمر الذي حدا بالمتتبع للعملية الشعرية ان يصل الى نتيجة مفادها ان شروط الجيل أصبحت غائبة عن وعي المبدع اذ اصبح اسم الجيل اسماً زمنياً لا إبداعياً . وهو امر له خطورته التي انسحبت على شعرية القول في الوعي الإبداعي، كما ان كل جيل اصبح يجد ان شعريته هي الأصل فكان التدافع حول هم الكتابة الأول هو البحث عن النص الذي يميز كل جيل عن غيره .

- **انتهاك جسد التقديم : ــ**

نحاول في هذا القسم من الدراسة تفحص الإشارات التي وردت في التقديم بوصفها اكتناهاً من المقدمين لنصوص الشعراء التي وردت في هذا الديوان المشترك ، ولا نريد ان نسبق الحكم عليها ولكن نود الإشارة الى ان هذه المقدمة .. على الرغم من هامشيتها ــ هي محاولة لإيصال صوت هو في وعي كاتبيها صوت مهمل عن قصد ، وعلى الرغم من قصر المقدمة التي لا تتجاوز أربع صفحات ، غير إنها يمكن ان تعد وثيقة أولى غير مكتملة قد تعقبها وثائق اكثر رصانة لاحقاً . ارتأى التقديم العزوف عن إصدار تعريف للشعر الذي يكتبونه وهذا العزوف لا تغني عنه كتابة الشعر ، اذ لابد للمبدع من ان يبين لنا تعريفه الخاص للعملية الإبداعية التي يمارسها ، الأمر الذي كان له دلالة الغياب عن عنونة الشعر ، تلك العنونة التي تؤرخ دوماً لعملية الإبداع ، ومدى فهم المبدع للأسئلة الملحة : ماذا أقول ؟ لماذا اقول؟ كيف أقول ؟

أما ان تظل المقدمة أو التقديم في زاوية الرؤية الانطباعية للعملية الشعرية والإصرار على ((عدم تقديم شيء لأنها تعريفات لا تجدي))[١] فهو دليل على الكتابة بمعزل عن الوعي الشعري وهو امر يبرره التقديم حين يقع في حلقة التوجس من الآخر غير ان الآخر المتوجس منه هو ذاته الوصاية التي يبحث عنها الشعراء ، اذ ان أول شرخ يتضح في المقدمة / التقديم هو فهم البحث عن الوصاية الشعرية ، وكأن نصوصهم غير شرعية فاقدة لشروط بنوتها من وجهة نظر الآخر ، في حين يظل التقديم في حالة فهم ملح لهذا الآخر من خلال التأكيد عليه في اقل تقدير ، ينتقل التقديم بعد ذلك الى طبيعة الشكل الشعري الذي كتبت به قصائدهم ، والذي يمكن تقسيمه الى نمطين :

أولهما : نمط يجده التقديم حاضراً في النصوص ، وهو النمط الذي يعرفنا به بقوله ((قصر جملهم الشعرية وتكثيفها ، واعتماد الإدهاش والمفارقة وعنصر السخرية وكتابة المهمل من اليومي والمرئي من الأشياء وغيرها من الصفات)) [٢] ، **أما النمط الثاني** فهو النمط الغائب كما جاء في التقديم ((إضافة الى ما يمكن ان يلمسه القارئ ... وما سيعرفه الباحث والمتتبع عن طريق دراسته للنصوص نفسها [٣] ، ان هذا النمط الذي يظل غائباً ، والذي يلقي التقديم تبعة اكتناهه على المتلقي ، هو النمط الذي يفترض ان يمثل جديد قصيدة النثر التسعينية ، كما انه كان لزاماً في التقديم ان لا نجد النمط الأول (السائد) بل نجد النمط الغائب الذي ظل بعيداً عن التعريف به وهو النمط المختلف ، ان هذا الارتباك في صياغة نموذج النمطين يجعل من السائد حاضراً ومن المختلف غائباً عن التقديم ، اذ اصبح اشتراكهما إبداعا (لسمات كتابة جديدة) و(لنموذج خاص ومبتكر يختلف عن أي نموذج وعن أي تجربة شعرية سابقة) وانه نموذج (لم يرثه الشعراء ولم يستورده أحد .. بل صنعوه بكل تفاصيله وتشظياته) ، فكيف اذن يمكن بعد هذا تصور مثل هذا التنافر بين قبول الشكل الشعري وبين رفضه ، وبين محاولة إبداع نص يكتب على غير مثال ، وبين نص جاهز يستل منه الشعراء نصوصهم ؟ كما ان التقديم ليس هو الذي عرفنا بشكل قصيدة النثر ذلك الشكل الذي اتضح انه ضبابي اذ لا يوجد تفريق بين شكل الشعر كإطار عام يتخلل كل الفنون الإبداعية ، وبين شكل قصيدة النثر الذي هو شكل من الأشكال التي يكتب بها الشعر ، ثم يأتي بعد هذا الشكل التسعيني الذي يندرج بمجمله بقصيدة النثر وهي الأقرب منه والأبعد عنه وهو الإبداع الشعري عموماً .

- العنـــــــونة : ـ

ان عنونة النص الشعري في الأدب العربي ولا سيما الشعر هي تقنية حديثة اتخذت سمتها القارة مع نشأة الشعر الحر ، حيث اصبح للعنوان دلالة مهمة لا يمكن إغفالها او التغاضي عنـــها ، واصبحت شـــهرة النصوص مرتبطة بعنواناتـــها بالدرجة الأســـاس فيقال (انشودة المطر) و (النهر والموت) و(بويب) و (المومس العميـــاء) ولا يقـــال قصـــيدة السياب ، وذلك ينطبق على الشعر الحر عموماً ، ومن هنا تتضح أهمية العنوان فـــي الـــنص الشعري الحديث عامة والشعر الحر بخاصة ، اذ يمكن الاقتراب من بنية النص الشعري وفق ما تحدده عنوانات نصوص عدة ، وهذا لا يعني التغاضي عن القصيدة وبنيتهـــا وانمـــا نـــود الإشارة هنا الى نقطة أساسية في دلالة العنوان ، هي دلالة الموجه الأول للنص ، اذ افترضنا ان هناك اكثر من موجه له ، ان العنوان يمثل موجهاً يقف بين الدخول الى عالم النص وبين المتلقي ، ولا يمكن تصور نص شعري حديث بمعزل عن العنوان وهذا يعنـــي ان للعنـــوان شعريته ولا يجوز قراءة النص بمعزل عن عنوانه ، لان مثل هذه القراءة يمكـــن ان نعـــدها قراءة تبحث عن نقاط التوتر النصي ، وإغفال مفتاح التوتر وهو عنوانه ثم ان هناك ســـؤالاً يتبادر الى الذهن هو : هل العنوان نتيجة يصل اليها المبدع ؟ ام هو إنبثاقـــة أولـــى تعقبهـــا القصيدة كما هو الحال في طباعة النص ؟ يمكننا ترجيح الافتراض الأول وهـــو ان العنـــوان نتيجة يصل إليها المبدع في نصه ، وهذه النتيجة يمكن ان تتم قراءتها بطرق عدة ، فإذا كان النص مقدمة فأن البحث عن نتيجة يجب ان تكون في آخر النص عند الطباعة غير انه لايمكن تصور عنوان يوضع في نهاية القصيدة ، هناك مجموعة من الأسئلة نحاول الإجابة عنها في هذه الفقرة ، على غرار : هل العنوان يمثل مفاجأة للقارىء ؟ وهل هو قضية ملحة يلجأ إليها المبدع ؟ أو هو تقليد شاع ؟ وهل يشكل العنوان بروزاً مفاجئاً أو انبثاقاً ضـــرورياً ؟ وهـــل العنوان هو عبارة تلخص النص ؟ وما هي الدلالات التي يخرج اليها العنوان ؟ وما المرجعية التي يحيل اليها منذ الوهلة الأولى لقراءتها ؟ هل هي دلالة سياســـية ، دينيـــة ، تاريخيـــة ، اجتماعية ، فلسفية ... الخ ؟

يجب ان لا يفهم من العنوان شيء زائـــد عن جســـد النص ، ان غيـــابه يعنـــي غياب الدلالة المرجوة منه ، انه بطاقة دخول إلزامية الى عالم النص ، وقد ذكـــر ((امبرتـــو ايكو)) : ((إن أحدا لن يستطيع الإفلات من إيحاءاته التي يولدها)) [٤] وقد ذكر محمود عبد الوهاب إشارة مهمة حول العنوان بقوله ((ان العنوان ليس بنية نهائية ، إنما هو بنية صغرى لا تعمل باستقلال تام عن البنية الكبرى التي تحتها ، فالعنوان بهذه الكينونة بنية افتقار يغتـــني بما يتصل به من قصة ورواية وقصيدة ويؤلف معها وحدة على المستوى الدلالي)) [٥]

يحيلنا هذا التعريف الى وعي المبدع الحديث في البحث عن بناء نص متكامل ، وإذا سلمنا بأن العنوان هو بنية افتقار ــ وان كان الأسلم ان نضيف : بنية افتقار تواصل ــ فأن هذه البنية لا تلبث ان تندمج ضمن البنية الكبرى ((النص)) وهو أمر محتوم في صراع البنى ٠

نلجأ أولا الى إحصاء عنوانات القصائد ومدى تكرارها للنصوص ، مبتدئين بالتكرار اللفظي ، يليه التكرار الإيحائي ثم نحاول تبيين دور كل من التكرارين ضمن النصوص ، وأيهما لعب دوراً في منحى النص انشداداً نحو عنوانه ٠ ان المقصود بالتكرار اللفظي هو ان يتكرر العنوان لفظياً داخل النص ، اما الإيحائي هو تكراره إيحائيا ، وقد شكل التكرار في نصوص (الشعر العراقي الآن) والبالغ عددها (٤٨) نصاً لـ (٢٧) شاعراً ، الآتي : نسبة الشعراء الذين استخدموا التكرار اللفظي كانت (٧٧%) وهي نسبة كبيرة تحيل إلى ان الوعي لصياغة العنوان قد اتجه نحو التكرار اللفظي دون الإيحائي ٠

ان وظيفة التكرار اللفظي فيما يخص عنونة النصوص هي وظيفة المتن والهامش ، أي ان العنوان يصبح متناً في حين يتنحى النص ليصبح هامشاً للعنوان ، وهذا الهامش يظل راصداً للعنونة دون محاولة خرقها ، فالعنوان يظل مسايراً للنص والعكس صحيح ، أي ان وظيفة التوتر التي يسعى اليها كل من النص الى العنوان تصبح إحالات غايتها التفسير ، ومثال ذلك قصيدة (نحن) [٦] للشاعر عباس اليوسفي حيث يتكون النص من (٧) مقاطع لذلك وجد الشاعر لزاماً عليه ان يكرر العنوان في المقاطع السبعة جميعها ، والحال كذلك في قصيدة ((أنا أفكر))[٧] للشاعر نفسه حيث يظل النص مشدوداً الى العنوان مما يعطي القارئ إيحاءاً بأن النص كتابة موسعة للعنوان ٠

أما فيما يخص التكرار الإيحائي فقد لعبت وظيفة العنوان دوراً اكثر نضجاً ، حيث استثمرت النصوص الجانب الإيحائي لتغييب الدلالة اللفظية ، ومحاولة سبر العنوان كتابة النص ، مما يمنح المتلقي قدرة على تأويل العنونة ، اذ يصبح النص امتداداً دلالياً للعنوان ، مثل نص ((غيوم متفرقة))[٨] للشاعر حسن السلمان بل ان التأويل يلعب دوراً متميزاً للكشف عن العلاقة بين النص والعنوان كما في نص الشاعر حسن جوان ((عدن)) [٩] فالنص يلتقي مع عنوانه ولكن ليس على الصفحة ، وانما يظل الامتداد بينهما يمثل إطاراً دلالياً لا يمكن إلغاء دوره ضمن بنية النص الكلية ٠ أما فيما يخص المرجعيات التي تحيل إليها عنوانات النصوص فهي مرجعيات اجتماعية ، لان المرجعية لا يمكن ان نستشفها من العنوان بمعزل عن النص ، وحيث ان النصوص في الأعم الأغلب قد اعتمدت التصوير لا

التصور ــ كما تبين لاحقاً ــ فأن المرجعية الاجتماعية تظل هي المهيمنة بغض النظر عن بعض الفروقات التي لا تمثل نضجاً في استثمار المرجعية .

- **المقومات المرئية :**

بما ان النص الحديث نص ((مقروء / كتابي)) ، لذا اصبح لزاماً على منشئ النص ان يعني الدلالة بالمقوم المرئي ، ويلجأ اليه ويستخدمه في كتابة نصه ، وإذا كانت قصيدة النثر منفلتة من إطار الوزن الذي يحكم في غالب الأحيان الشكل الطباعي الذي يكتب النص على أساسه فأن استثمار المقوم المرئي في النص النثري يجب ان يتم بصورة واعية واكثر حذراً لأنها اسهل منالاً ، كما ان المقوم المرئي هو محاولة الاستفادة من كل مساحة كتابية ضمن جسد الورقة ، لأن ((قصيدة النثر لم تقف عند تغيب النظام الكتابي فحسب وانما تعدت نحو استغلال أبعاد مرتبة لمدلولات قائمة فيها بوصفها تقويماً لها وتعزيزاً لتقبل جماليتها))[١٠]. يقسم د. محمد حافظ ذياب المقومات المرئية الى ((الفراغية والتقطيع ، والتجسيم والخطوط والتهميش)) [١١] ثم يورد تعريفاً لكل مقوم من هذه المقومات ولكننا لم نلحظ استثماراً لأي مقوم مرئي من التي ذكرها في نصوص (الشعر العراقي الآن) استثناء محاولة جمال الحلاق في قصيدته ((جنون العائلة)) حيث شكلت الفقرة الثانية والثالثة والرابعة استثماراً للمقوم المرئي ((التجسيم)) والمقصود به ((قامت القصيدة كتابياً على وفق الموضوع الذي تتمحور حوله فتؤكد دلالته صورياً ايضاً)) [١٢] يقول :

دائماً
تخرجين من الإطار
كلوحة
أخرى

ان السطر الثاني ((تخرجين من الإطار)) يعمد الى فعل الخروج عن نظام الأسطر الباقية مرئياً ودلالياً ، بل ان استثمار هذا المقوم المرئي يشير الى إمكانية قراءة النص بطريقتين :

الأولى : هي الطريقة الاعتيادية كما أثبتها الشاعر مع الالتفات الى (الجار والمجرور) ⇐ (من الإطار) أي التوقف عند السطر الثاني مدة زمنية أطول من باقي الأسطر .

أما **القراءة الثانية** فهي الأكثر استثارة للحاسة الشعرية وللذائقة الفنيـــة ، حـــين التغاضي عن الجار والمجرور (من الإطار) وقراءة النص بطريقة عمودية ومن ثم العودة الى (من الإطار) كي نضعه بعد السطر الرابع وهذه القراءة ذات مدة زمنية اطول :

دائماً

تخرجين

كلوحة

من الإطار

غير ان كتابة النص بهذه الطريقة تعني التقليل من شعرية المقوم المرئي الذي لعب دوراً في إضفاء دلالة مرئية على النص .

أما **الفقرة الثالثة** من النص ذاته فقد استثمر فيها جمال الحـــلاق المقـــوم المرئـــي (التجسيم ايضاً) ولكن بطريقة مختلفة عن استخدامه الفقرة الثانية يقول فيه :

البسي أبناءنا الكمامات

اغلقي كل النوافذ

كل الشوارع

فالهواء

قادم

وهو شـــكل تجسيدي يتناص مع نص مشـــهور لفاضل العـــزاوي بعنوان ((القصيدة التـــي تأكل نفسها)) [١٣] وقد وفق الحلاق في ربط المقوم المرئي بالجانب الدلالي ، فالنص يمثـــل في دلالته الانزواء نحو نقطة معينة تمثل الهرب لقدوم طارئ معين اذ يبدأ النص مـــن أفـــق متسع وحركة باتجاهات عدة الى أفق ضيق وحركة باتجاه واحد ، حيث تقتصر الحركة على الهواء وحده ، فكان لغياب الأشياء تقابل مع غياب الكلمات ، ومحاولة جعل مساحة محدودة لقادم واحد بعد ان كان النص مكتظاً بأكثر من حركة من أشـــخاص عـــدة ان هـــذا الشـــكل التجسيمي الذي صور التآكل دلالياً ومرئياً وحدد حركة الجميع باستثناء واحد قد لعـــب دوراً في ان تكون المفردات الأخيرة ((قادم)) قد أزاحت جميع المفردات السابقة لها وبقيت هي ، بمعنى تآكل الشكل قد انفرد به الهواء انفراداً . أما بالنسبة للفقرة الرابعة فأن استخدام الشكل التجسيمي لدى الحلاق يمثل مفارقة في جانب ومسايرة للشكل التجسيمي في جانب آخر حين يقول :

حدثيهم عن ندائنا

قولي لهم

كانت الثياب ضيقة عليه

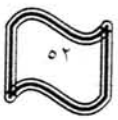

فتعرى
قال له أبوه
تموت باكراً
او تندم
لكنه الآن
اكثر شيخوخة من جدكم
الحريص جداً
على ثيابه الضيقة

لقد حرصنا بجهد الإمكان على ان تكون نهايات الأسطر موافقة تماماً للشكل الطباعي الذي أراده الشاعر ، وما يهمنا في هذه الفقرة هو السطر الثالث ((كانت الثياب ضيقة عليه)) حيث احتلت اكبر مساحة طباعية من باقي الاسطر ، وقد شكل هذا المقوم المرئي مفارقة مع الدلالة اذ ان المقوم المرئي قد شهد اتساعاً في حين ان الدلالة قد خرجت الى معنى الضيق ، وهذا لا يعني ان الشاعر كان محكوماً بالوصول الى نهاية المعنى ، أي ان ترتيب ((فعل ماضي ناقص + اسم + خبر + متعلق " جار ومجرور ")) كان محكوماً به الشاعر وانما الترتيب جاء ضمن وعي في رصد مفارقة مرئية ــ اذا صح التعبير ــ وما يؤكد ذلك ان الفعل تعرى الذي يعني الانفلات او التحرر كما خرج اليه النص قد اخذ اصغر مساحة طباعية مما واصل عملية المفارقة المرئية ، التعري هو اختزال الثياب الضيقة بمعنى التقليل مما كان الآخر .

- _الأنظمة الكتابية :

النظام الكتابي في قصيدة النثر نظام حر أو اكثر حرية من الأنظمة الكتابية التي تحكم الشعر الحر ، والأنظمة الكتابية وسيلة معالجة للدلالة وفق ما يتصوره منشئ النص ، وقد حدد الدكتور سرور عبد الرحمن (قصيدة النثر ص ٤٥) ثلاثة أنظمة كتابية في قصيدة النثر العربية هي :

١ . النظام السطري .
٢ . النظام الفقري .
٣ . النظام المركب (السطري ، الفقري)

وقد شهدت نصوص (الشعر العراقي الآن) اقتراباً يكاد يكون تاماً بالنظام السطري من غير النظامين الآخرين ، واذ كان ((الشعر المنثور الذي ظهر في بداية هذا القرن هو أول نتاج

شعري في الأدب العربي صيغ بهذه الصورة)) [١٤] فان هذه النصوص قد ظلت محافظة على النظام السطري باستثناء محاولات قليلة جداً أفادت من النظامين الآخرين ، أما الرغبة في مثل هذا النظام فأنها متأتية من محاولة استعادة ذلك القدر من الإيقاع الانتقالي القائم فيها ، إضافة الى ان تفاوت طول الأسطر وغياب انتظاماتها الداخلية يؤديان الى تضاؤل الإيقاع ، غير ان حدود ذلك الابتسار كافية لإضاءة النسق واجزاء منه وابرازه ، وفي الوقت نفسه يعالج المعنى المراد في كل سطر ، وينثال بأسلوب طبيعي من دون توقيت محدد له .

وقد تكون الاسطر قليلة ، وذلك تركيز فيما يرد من الاسطر الواحد عقب الاخر كما يتجلى في نص فرج خطاب الموسوم بـ ((لصوص))[١٥] الذي يقول فيه : ـ

لصوص بلون البرونز
ايقظوني في الظهيرة
واشعلوا من حولي
النار

أو في نص ((اصطفاف)) [١٦] لجمال جاسم امين

هذه الارض
مقسمة تماماً
والحياة اصطفاف
انا وراءك
ينبغي ـ اذن ـ ان تموت قبلي ..

وقد تكون الاسطر طويلة استرسالاً لاحتواء المعنى وانثيالاً وتدفقاً . وتظل محافظة مع ذلك على النظام السطري كما في نصّ ((مواء))[١٧] لسلام دوّاي :

قبل ان تتسلقي كلبلاب طائش
كنت تمرين كسحابة فأشتعل كبرق
كنت السخونة وانا على جسدك اتفصد
وفوق قميصك اجف وانفد

أو في قصيدة ((افعل ما يحلو لي)) [١٨] لعبد الخالق كيطان :

انتزه في حديقة الزوراء
والعب كرة القدم مع الصغار
قلت لحبيبتي وهي تهم بإشعال النار

هكذا كنت افعل وامي حين ابتدأت الحرب

وقد يلعب النظام السطري دوراً في خلق اطار عنقودي اذ يصبح كل عنقود من عناقيده صورة من صور الحالة او جانباً من جوانب الفكرة ، وخير مثال على ذلك نص عباس اليوسفي ((نحن))[١٩] والذي يتكون من عناقيد سبعة نقتطع منها اربعة :

١ ٠ نحن الذين لاسمك لنا
سوى البحار
نتلذذ باصطيادها
في شباك
من الرؤيا

٢ ٠ نحن الجهات العاجزة
عن ادراك ذاتها ٠٠

٣ ٠ نحن الرياح التي لا تنضج
برغم هبوب الاشجار

٤ ٠ نحن ممتلكات لا تحصى
لشراهة
لا تحصى ايضاً

فكل عنقود من هذه العناقيد الاربعة يمثل صورة مستقلة ومجاورة للصورة المتقدمة والمتأخرة عليها وتشكل بمجموعها رؤيا معينة ، كما انه نص يحاول توسيع رؤياه كلما تقدم في الانتهاء من عناقيده ٠ وما وجدناه في نص حسين علي يونس ((بغداديات))[٢٠] يلتزم النظام نفسه والاطار ذاته ٠

اما بالنسبة الى النظام الفقري فلم يكتب به سوى محمد غازي في نصه ((جرائم شخصية جداً))[٢١] وهذا النظام ((من اجلى انظمة قصيدة النثر فهو يقوم على الفقرة الشبيهة بالفقرة النثرية الموجودة في القصص والمقالات))[٢٢] غير ان محمد غازي لم يوفق في هذا النظام اذ ابتعد عن الجانب الايحائي واقترب بشكل يكاد يكون تماماً من بناء الاقصوصة ، بل ان هناك كثيراً من الاقصوصات قد كتبت على هذا النمط كما ان الكتابة ضمن النظام المركب كانت غائبة تماماً ٠

- رؤية العالم :

في البدء يجب التمييز بين رؤية الشيء وبين رؤياه ، لان رؤية الشيء المجردة توصلنا الى تصوير الاشياء المحيطة من حولنا ، وهي حالة انعكاس محض ، مما يجعل منها عملية آلية لا يمكن لها ان تشد المتلقي الا لوهلة قصيرة ، اما رؤيا الشيء فهي تصوره أي وضع الشيء ضمن افق غير محدد ، هو حالة اشتهاء الشيء ضمن لا زمنية العبارة وهذا ما يلجأ اليه الشاعر حين يكون قريباً من عملية الابداع الشعري .

ان قصائد (الشعر العراقي الآن) تقف بين التصور والتصوير وان كانت تميل بثقلها الاكبر نحو التصوير مما يجعل منها نصوصاً مفتقرة لرؤيتها الخاصة ، اذ يكاد كل نص يمثل مشهداً مقتطعاً من الحياة بغض النظر عن مدى قيمة هذا الالتقاط ، وهو التقاط عفوي يقع الشاعر فيه تحت ضغط الرغبة في جعل العبارة مكثفة والجمل قصيرة ، ولو توقفنا عند العبارة المكثفة والجمل القصيرة لوجدنا ان اللجوء الى الاولى يصبح نتيجة طبيعية في تشكل الثانية ، غير ان المفارقة تتضح في ان قصر العبارة لا يعني بالضرورة تكثيفها والعكس صحيح ، فالتكثيف سمة مميزة للتعابير المشحونة بأكبر عدد من الايحاءات الدلالية ، وهونتيجة الرؤية التي تنأى عن الترهل ، بوصفه تقنية لازمت النص الحديث نجده لا يقتضي الكتابة وانما الكتابة هي التي تقتضيه ، ا ان ملاحقة الكتابة للتكثيف تعني ملاحقة الفكر القادر على خلق التوازن بين الرؤية والكلمة ، ولكن ما هي الضوابط التي يمكن الاحتكام اليها عند قراءة النص الموسوم بالتكثيف وهي :

١ . هو نص رؤيوي / اشراقي ، لا يمنح نفسه للقارئ منذ القراءة الاولى فهو نص عصي عن الاستبدال الذي يحيل الى الغاء الفجوة .

٢ . نظام العلاقات وهو نظام غير اعتباطي ، وعليه فهو نص يقوم على الاختلاف من دون البحث عن الغاء السائد .

٣ . ذاكرة النص المكثف ذاكرة انبثاقية تبتعد عن الاسترجاع او الانعكاس مما يجعله نصاً مستدرِجاً (بكسر الراء) للنصوص وليس مستدرَجاً (بفتح الراء) لنصوص اخرى .

ان الرؤية للعالم كما تتجلى في اعمال جورج لوكاتش ومن بعده اعمال لوسيان غولدمان هي تصور معين للانسان والطبيعة والوجود يحضر اما في الاداب او الفلسفة وهذه الرؤية للعالم يعبر عنها الاديب او الفيلسوف تحت تأثير مجموعة من العوامل الذاتية الشخصية والاجتماعية الخارجية [٢٣] . ويحدد غولدمان نوعين من الوعي في رؤية العالم

وهما : الوعي العقلي وهو ((الوعي الناتج عن الماضي وتختلف حيثياته وظروفه واحداثه ، والوعي الممكن : وهو ((ما يمكن ان تفعله طبقة اجتماعية ما بعد ان تتعرض لمتغيرات مختلفة من دون ان تفقد طابعها الطبقي)) [٢٤] .

يذكر سرور عبد الرحمن خمسة انواع للرؤية للعالم تمثلت في قصائد النثر وهي : الرؤية الصوفية للعالم ، والرؤية الثورية ، والرؤية الدينية ، والرؤية الطفولية ، والرؤية الاغترابية. واذا كانت الرؤى الثلاث الاولى تتطلب من منشئ النص وعياً كافياً بالتراث الصوفي والايديولوجيات والاديان حسب الترتيب فإن الرؤيتين الاخيرتين (الطفولية والاغترابية) تمثلان الاقتراب من الذات في حالة التخلي عن الافق المرجعي والملاحظ ان نصوص (الشعر العراقي الآن) قد شهدت اقتراباً تاماً من الرؤية الاغترابية للعالم ، وليس ذلك الاقتراب كان مقترناً بدرجة كافية من الوعي وانما لان هذه الرؤية اقرب ما تكون الى الرؤية الفضفاضة ، لما اصبح عليه مصطلح الاغتراب من افق غير محدد حيث ان الاغتراب هو ((انفصال الفرد عن جماعته او انفصال الجماعة عن اخرى اكبر منها))[٢٥] فضلاً عن الشعور بعدم الراحة على اثر ذلك ، ومما يمثل هذه الرؤية في (الشعر العراقي الآن) نص سلام دوّاي ((الشاهد)) [٢٦] (ص ٣٢) يقول فيه :

ـ١ـ
حين تفجّر
لم يسقط أحد
لم يهرب أحد
لم يأبه أحد
فلملم شظاياه
وتوارى خجلاً

ـ٢ـ
الاشياء القابعة في الظل
هناك تحت الاشجار
تلكم قلوبنا
تذرف عليها العصافير

هكذا جسدت قصيدة النثر التسعينية في العراق اسقاطات الحداثة وتلقفت المنجز الشعري العالمي والعربي فكانت بحق رؤية جديدة الى العالم تغاير الرؤية المألوفة وكأنها خروج متمرد على نمط العصور السالفة والعصر الراهن ، فهي مأخوذة نحو المستقبل في كل خطوة تخطوها لتبحث عن الدهشة والغرابة

الهوامش

(١) الشعر العراقي الان:؟

(٢) المصدر نفسه : ٤

(٣) المصدر السابق نفسه : ٤

(٤) نقلا عن ثريا النص لمحمود عبد الوهاب : ٩

(٥) المصدر السابق : ٩-١٠

(٦) الشعر العراقي الان : ١٥

(٧) المصدر نفسه : ١٧

(٨) المصدر السابق : ٤٧

(٩) المصدر السابق : ٦٣

(١٠) قصيدة النثر في الادب العربي المعاصر ، سرور عبد الرحمن : ٥٢

(١١) طوبوغرافية النص الشعري ، م المنار ع ٥١ سنة ١٩٨٤ ص ١١٨

(١٢) طوبوغرافية النص الشعري ، م المنار ع ٥١ سنة ١٩٨٤ ص ١٢١

(١٣) سلاماً أيتها الموجه سلاما أيها البحر : ٨٩

(١٤) المصدر السابق : ٤٥

(١٥) الشعر العراقي الآن : ١٠

(١٦) المصدر نفسه : ٢٥

(١٧) المصدر نفسه : ٣٠

(١٨) المصدر السابق : ٣٩

(١٩) المصدر السابق : ١٥

(٢٠) الشعر العراقي الآن : ٣٨

(٢١) المصدر السابق : ٧٤

(٢٢) قصيدة النثر في الشعر العربي المعاصر : ٤٨

(٢٣) في البنيوية التركيبية ، جمال شحيذ : ٤٠

(٢٤) المصدر السابق : ٤٠ ــ ٤١

(٢٥) الاغتراب في الذات ، صهيب الشاروني م عالم الفكر ع ١ ص ٧٠

(٢٦) الشعر العراقي الآن : ٣٢

مصادر البحث ومراجعه

١ . ثريا النص : محمود عبد الوهاب الموسوعة الصغيرة ، دار الشؤون الثقافية ــ بغداد ١٩٩٥ .

٢ . سلاما ايتها الموجة . سلاما ايها البحر : فاضل العزاوي وزارة الثقافة والاعلام ــ بغداد ١٩٦٩ .

٣. الشعر العراقي الآن : مجموعة شعراء منشورات اتحاد الادباء ــ بغداد ١٩٩٨ .

٤. في البنيوية التكوينية : جمال شحيذ دار القبس ــ سورية (دمشق) ١٩٨٦ .

٥. قصيدة النثر في الادب العربي المعاصر : د . سرور عبد الرحمن دار توبيقال ــ المغرب ١٩٩٢ .

٦ . قصيدة النثر من بودلير الى ايامنا : سوزان بيرنار ــ ترجمة زهير مغامس دار المامون ــ بغداد ١٩٩٣ .

٧. طوبوغرافيا النص الشعري : د. محمد حافظ ذياب مجلة المنار ــ العدد ٥١ سنة ١٩٨٩.